رأس الراوي الشرقي

هل تريدينَ أن أحكي لكِ حكايات،
يا طفلتي الجميلة؟
لديّ الكثير لأحكيه:
حكايةً عن عروس البحر،
عن عصفورٍ ونجمةٍ،
عن وصيفةٍ بريئةٍ
سَرِقت ساحرها،
عن عايقٍ مغنٍ جوال،
وعن جاريةٍ عربيةٍ
بجيدٍ من لؤلؤ "البصرة"،
وشالٍ من "لاهور".

حكاياتٌ حلوة، وحكاياتٌ قوية،
عن سيداتٍ وفرسان،
عن مطربين ومحاربين،
عن سادةٍ وعبيد،
عن غاباتٍ اسكندنافية،
وقصورٍ من البللور،
حكاياتٌ عن سحرٍ خالد،
حكاياتُ حب إلهي،
تتزيا ألوانا زاهية
من سحر الشرق.

قولي لي، أيها تحبين؟
يقول أناس وقورون
إن الحكايات الشرقية
تُحبها النساء،
نعم، إذن أنت تفضلينها،
سأُرضي تشوقك،
وأنا أعرفُ حكاية إسلامية

تتحدث شعراً عن عاشق،
حكاها لي فارسي
جاء من أصفهان.

يُقال أن مَلِكاً شرقياً كبيراً
كان مصاباً بداء القلب،
جمع على الفور
حكماء أمته،
وقال كل منهم رأيه،
لم يعثروا على حقيقة واحدة،
فقرروا طلب مشورة
فلكي شيخ من بغداد.

ارتحلَ الشيخُ،
ما أن وصلَ حتى استطلعَ النجومَ،
وعرفَ منها
علةَ الملك.
وكخبير محنك،
تنبأ بسر الملك،

وأمام دهشة الحاشية
قال للملك: أيها الملك
أنت عاشق مُتيم.

بعدها، أصدر صاحب الجلالة
أوامره الملكية،
وطلب إحضار كل جميلات
المملكة،
واستعرضهنَ أمام حكيم بغداد
ليرى أيهن الأصلح
لعلاج الداء.

كانت هناك عيونٌ سوداء تفيض بالحياة،
وشفاهٌ تقتلُ من ينظر إليها،
خلفها صفوف من اللؤلؤ
تنامُ في أحضانٍ من مرجان،
وجوهٌ تموج بالحياة،
سطوعُ رذاذ مطر،
وشعرٌ أشقر ذهبي،

كان هناك الخدرُ والخجل،
تختلط وجوه وصيفات "سيرقاسيا"
بوجوه زنجيات النوبة.

جميلاتٌ مزيناتٌ
بأكاليل على الجباه،
بأقراط حلوة،
وأقراط ثمينة، وأخريات بحريرٍ ثمين
يخفي خجلها،
وأخريات ببشرة مرمرية،
وجباهٍ خجلة وصامتة،
كلهن عاريات تماماً
تُغرقنَ من ينظر في ضيائهن.

أمام هذا المشهد الرائع
شاهد الملك فارسيةً جميلةً،
بعينين رقيقتين وبشرةٍ صقيلة،
غضت طرفَها،
وغزت روح الملك

بجمالها الأخّاذ،
كانت ترتعشُ،
والرعبُ يملؤها،
عندما شاهدت السيد المبجل،
يقول لها:
ستكونين زوجة لي.

وهكذا كان،
الفتاةُ الجميلةُ
ذات البشرة البيضاء والعيون السود،
اكتملت بها الرغبة الملكية،
وتزوجها الملك.
تسألين إن كانت سعيدة؟
لا، الأمر ليس كذلك:
لم تكن سعيدة كملكةٍ هناك،
فالفارسيةُ الجميلةُ
كانت عاشقة
لـــ"بالزاراد" الراوي.

كانت لـــ"بالزاراد" في الحقيقة
حنجرة من رباب،
رباب حلو يسحر،
وعندما يغني "بالزاراد"،
يزداد النهار جمالاً،
وسمعتْ هي الراوي يغني،
ومن شفتيه الياقوتيتين
تنبعُ تنهيدةٌ مرتعشةٌ،
وكان "بالزاراد" المعشوق
للحورية السماوية.

لذلك فهي حزينةٌ جداً،
رغم أنها زوجةُ الملك،
تُمضي اليومَ متأوهةً
من صراعٍ داخلي،
ويكاد الملكُ ينفجر،
وقال لها ذلك مرة:
أيتها المليئة المزدوجة،

أنتِ تعشقينَ آخر،
وبدا في وجهها
الذبول.

نعم، قالت له، إنها الحقيقة،
وقدري هو حاكمي:
أيها الملك، أنا لا أستطيع أن أحبك،
لأني أعشق "بالزاراد".
غرقَ الملك في غضبه،
وأدارَ لها ظهره،
وعيناهُ تقدحان بالشرر،
والكراهية لمحبوبته،
وفكّرَ في الانتقام.

في اليوم التالي تلقت الجميلة
من الملك
صندوقاً
بزخارف رائعة،
فتحته مستطلعة،

وأطلقتْ من أعماقِها
صرخةً.
كان في الصندوق
رأس الراوي
غارقاً في دمائه.

بين كل هذا الجنون،
وفي مصيرها الفاجع،
سقطت ميتةً.
ذهبَ الملكُ بحثاً عن الجميلة:
كانت الفاتنةُ هناك،
باردةً ومرعبة،
نصفُ عارية وميتة،
تُقبِلُ رأس "بالزاراد" المرعب.

وقفَ الملكُ مفكراً
فيما فعلته العاطفة العمياء،
وبعدها،
عاد الملك إلى علته.